الذاتية صفة الكلام ومباحثها اشهر مباحث الفن حتى سمي باسمها علي ما مر
واليها اشار بقوله كذا اي يجب له تعالى سمعا وجوبا مثل وجوب ذا المتقدم
من الصفات في الجملة وان اختلف طريق الوجوب اذ المثبت به طريق
وجوبه العقل والمثبت طريق وجوبه السمع كما يصرح به علي ان
بعضهم يثبت القول بان طريق وجوبه العقل وسياتي بيانه الكلام ال
فيه عوض عن مضاف اليه اي كلامه وهو عند اهل الحق ليس من جنس الاصوات
والحروف بل صفة ازلية قائمة بذات الله تعالى منافية للسكوت
والافة كما في الخرس والطفولية هو بها آمر ناه مخبر الي غير ذلك
يدل عليها بالعبارة او الكتابة او الاشارة فاذا عبر عنها بالعربية
فقران وبالسريانية فانجيل وبالعبرانية فتوراة فالاختلاف انما
هو في العبارات دون المسمى كما اذا ذكر الله تعالى بالسنة متعددة
ولغات مختلفة تنبيه السكوت ترك التكلم مع القدرة
عليه والافة عدم مطاوعة الالات اما بحسب الفطرة كما في الخرس
او بحسب ضعفها وعدم بلوغها حد القوة كما في الطفولية ومن هنا
اورد علي هذا انه انما يصدق علي الكلام اللفظي دون الكلام النفسي
اذ السكوت والخرس انما ينافيان التلفظ لا المعنى النفسي واجيب
بان المراد بالسكوت والافة الباطنيان بان لا يتدبر في نفسه التكلم
او لا يقدر علي ذلك فكما ان الكلام لفظي ونفسي فكذا ضداه اعني
السكوت والخرس واعلم انه لا خلاف لارباب الملل والمذاهب في كون الباري
تعالى متكلما وانما الخلاف في معنى كلامه وقدمه وحدوثه فعندنا كلامه
ما مر وخالفنا في ذلك جميع الفرق وزعموا انه لا معنى للكلام الا المنتظم
من الحروف المسموعة الدالة علي المعنى المقصود وان الكلام النفسي
غير معقول ثم قال جملة من رعاع نسبوا انفسهم للحنابلة ظلما
وغلوا واحمد ووجوه اصحابه براء منهم ومن مقالتهم والحشوية
ان تلك الاصوات والحروف مع تواليها وترتب بعضها علي البعض وكون
الحرف الثاني من كل كلمة مسبوقا بالحرف المتقدم عليه كانت ثابتة
في الازل قائمة بذات الباري تعالى وتقدس وان المسموع من اصوات
القراء والمرئي من اسطر الكتاب نفس كلام الله تعالى وكفى شاهدا
علي جهلهم ما نقل عن بعضهم ان الجلد والغلاف ازليان وعن بعضهم
ان الجسم الذي كتب به القران فانتظم حروفا ورقوما هو بعينه
كلام الله تعالى وقد صار قديما بعد ما كان حادثا ولما رات الكرامية
ان بعض الشر اهون من بعض وان مخالفة الضرورة اشنع من
مخالفة الدليل ذهبوا الي ان المنتظم به من الحروف المسموعة مع حدوثه

قايم

قايم بذاته تعالى وانه قول الله لا كلامه وانما كلامه قدرته وهو قديم وقوله
حادث لا محدث وفرقوا بينهما بان ما له ابتداء ان كان قايما بالذات فهو حادث
بالقدرة غير محدث وان كان مباينا للذات فهو محدث بقوله كن لا بالقدرة
والمعتزلة لما قطعوا بانه المنتظم من الحروف وانه حادث والحادث
لا يقوم بذات الله تعالى ذهبوا الي ان معنى كونه متكلما انه خالق الكلام في
بعض الاجسام واحترز بعضهم من اطلاق لفظ المخلوق عليه لما فيه من ايهام
الخلق والاختراع وجوزه جمهورهم ثم المختار عندهم وهو مذهب ابي هاشم
ومن تبعه من المتاخرين انه من جنس الاصوات والحروف ولا يحتمل البقاء حتى
ان ما خلق مرقوما في اللوح المحفوظ او كتب في المصحف لا يكون قرانا وانما
القران ما قراه القاري وخلقه الباري من الاصوات المتقطعة والحروف
المنتظمة وذهب ابو علي الجبائي والد ابي هاشم المذكور الي انه جنس
غير الحروف يسمع عند سماع الاصوات ويوجد بنظم الحروف وبكتبها
ويبقى عند المكتوب والحفظ ويقوم باللوح المحفوظ وبكل مصحف وكل
لسان ومع هذا فهو واحد لا يزداد بازدياد المصاحف ولا ينتقص بنقصها تماما
ولا يبطل ببطلانها والحاصل انه انتظم من المقدمات القطعية والمشهورة
قياسان احدهما ينتج قدم كلام الله تعالى وهو انه من صفات الله تعالى
وهي قديمة والاخر حدوثه وهو انه من جنس الاصوات وهي حادثة
فاضطر القوم الي القدح في احد القياسين ومنع بعض المقدمات ضرورة
امتناع حقية النقيضين فمنعت المعتزلة كونه من صفات الله تعالى
والكرامية كون كل صفة قديمة والاشاعرة كونه من جنس الاصوات
والحروف والحشوية كون المنتظم من الحروف حادثا ولا عبرة بكلام الحشوية
والكرامية فبقي النزاع بيننا وبين المعتزلة وهو في التحقيق عائد الي
اثبات الكلام النفسي ونفيه وان القران هو هذا المعنى النفسي او هذا
المولف من الحروف الذي هو كلام حسي والا فلا نزاع لنا في حدوث الكلام
الحسي ولا لهم في قدم النفسي لو ثبت قال السعد وعلي البحث والمناظرة
في ثبوت الكلام النفسي وكونه هو القران ينبغي ان يحمل ما نقل عن مناظرة
ابي حنيفة وابي يوسف ستة اشهر ثم استقر رايهما علي ان من قال بخلق
القران فهو كافر تنبيهات الاول استدل اصحابنا علي قدم كلام الله
تعالى وكونه نفسيا لا لفظيا حسيا بوجهين احدهما ان المتكلم من قام به
الكلام لا من اوجد الكلام ولو في محل اخر للقطع بان موجد الحركة في جسم
اخر لا يسمى متحركا وان الله تعالى لا يسمى بخلق الاصوات مصوتا وانا اذا
سمعنا قايلا يقول انا قايم نسميه متكلما وان لم نعلم انه الموجد لهذا الكلام
بل وان علمنا ان موجده هو الله تعالى كما هو راي اهل الحق وحينئذ

Copyright © King Saud University